ترجمة المراجع التّاريخيّة
بين أمانة التّرجمة وترجمة الأمانة.

The Translation of historical resources, between the commitment and preservation the principles of the nation's identity.

بشير عابد[1]

تاريخ الاستلام: 24 / 01/ 2020 تاريخ القبـــــول: 27 / 03/ 2020

ملخّص: يعتبر التّاريخ من أهم مقومات الاستقلال الهوياتيّ لأنه الجامع للمنتمين إليه والدّاعيّ إلى فخرهم الانتمائي واعتزازهم به. فهم صانعوه ووارثوه ومورثوه إلى جيل وجب عليه الحفاظ عليه بحق الانتماء إليه. لذلك تعد كتابة التّاريخ من أصعب المهام وأعقدها. ولعل ما زاد من تعقيدها فيّ الدّول الحديثة الاستقلال توفر المراجع المؤرخة لأهم حقبة فيّ حياتها بلغة غير لغتها وفكر مغاير لفكرها ونظرة احتقاريه لكل ما يعاديّ السياسات الاستعمارية. ومع هذا لا يمكن إنكار أهميتها وضرورة ترجمتها والاعتماد عليها لاستكمال بناء الهويّة المستقلة. وكثير من تلك المراجع متوفرة فيّ الجزائر مشكلة أمهات الكتب المؤرخة لحقبة مهمة من حياتها. ومهمة التّرجمة ليست بالأمر السهل، فالمترجم لهذه المراجع يجد نفسه بين أمرين أحلاهما مر. فإما الالتّزام بالأمانة التّرجميّة للنص الأصليّ وإما الالتّزام بالمبادئ الهوياتيّة والولاء للوطن. فالمترجم إذن مجبر على التّوفيق بين الأمانتين باعتماد الأسلوب المناسب لترجمة كل نص وفق محتواه وما تمليه الضرورة التّأريخية.

كلمات مفتاحية: التّاريخ؛ الهوية؛ الإيديولوجية؛ التّرجمة؛ النّظريات.

Abstract: History is the most important ingredients of the independent identity and the national cohesion, wish unify the belonging members to the unique and one nation. That's why rewriting history is the most important and complicated mission. The foregone language in wish the historical resources are written present the principal problem, because it contain and transfer a different vision than their

[1] جامعة أحمد بن بلة- وهران 1- البريد الإلكترونيّ:**psi-4@outlook.fr** (المؤلف المرسل)

mother tongue. Even thought it's impossible to neglect the importance of those resources. The history is in need of it, in order to finish the identity description by translating it. The translator of such kind of resources will be between two options. Firstly, comet to the original text. Secondly, preserve the principals of the nation's identity. So translator is obliged to deal with the previous mentioned items and choose the appropriate style to translate each text depending on the historic necessity.

Key words: history; identity; ideology; translation; theories.

1. **مقدمة:** " التّاريخ يكتبه الأقوياء" مقولة تعكس ما قامت به فرنسا منذ أن وطئت قدماها أرض الجزائر. حيث عمدت فيّ محاولتها لطمس معالم الهويّة الجزائريّة إلى تدنيس تاريخها وتحريفه وتزييفه وإعادة كتابة القديم منه ليتوافق مع أهوائها، وصياغة الحديث منه ليتناسب وفق مبادئها لبث روح التّنصل من الأصل عند الجزائريين. ومن أهم السبل لذلك تأليف كتب وصفت بأمهات كتب تاريخ الجزائر لعقود وتزييف الحقائق والوقائع وتسميّة الأمور بغير مسمياتها.

بعد الاستقلال وجد المؤرخون والمترجمون أنفسهم أمام ضرورة ترجمة الوثائق والكتب والمخطوطات الموروثة عن الاستعمار الفرنسيّ فيّ مهمة لإعادة كتابة التّاريخ بنيّة استكمال بناء عناصر الهويّة الوطنيّة التّي من شأنها صهر كل أطياف المجتمع فيّ قالب واحد متحد. حيث أن دور التّاريخ المشترك فيّ استكمال بناء الصرح المجتمعيّ القويّ أمر لا يختلف عليه اثنان هذا من جهة ومن جهة أخرى من أجل تفنيد نظريّة الحتميّة التّاريخيّة المزعومة والنّاصة على أن تاريخ المنطقة غير مشرف وأن الجزائريين لديهم تاريخ همجيّ بربريّ وطبعهم الغالب هو قابليّة الاستعمار بسبب قصورهم الفكريّ والتّاريخي. " ليس فيّ الإمكان إلا ما كان، وما هو كائن، وما سيكون" هذه العبارة تلخص مفهوم الحتميّة التّاريخية. والتّي مفادها أن تجنب الاستعمار شيء مستحيل بالنّسبة إلى الشّعوب التّي سبق استعمارها. وأن الشّعوب العربيّة عامة والجزائر خاصة لديها قابليّة الاستعمار . وأن تطورها وتقدمها لن يحدث إلا تحت مظلة الاستعمار والهيمنة الفرنسية.

وقد أكد الدّكتور محمد الهاديّ الحسنيّ تدخل المؤرخين الفرنسيين بما سموه نصيحة لنظرائهم الجزائريين بضرورة التّحليّ بالأمانة العلميّة فيّ العمليّة التّرجميّة للنصوص الفرنسيّة الأصل، أو ما يسمى بالموضوعيّة فيّ إعادة كتابة التّاريخ. والالتّزام بما جاء فيّ الروايات والنّصوص الفرنسيّة خاصة

تلك المؤرخة للفترة الاستعمارية من عمر الجزائر. وحتى تلك المؤرخة للحقبة السابقة لبدايّة الاستعمار ولعل من بين أهم المراجع التّي تمت كتابتها بتزييف الحقائق والوقائع هو كتاب "رسائل الدّايات" « les lettres Days » المتضمن تجميعا لرسائل دايات الجزائر إلى مختلف ملوك أروبا آنذاك. وقد تناسى المؤرخون الفرنسيون فيّ دعوتهم تلك أن هذه النّصوص نفسها لا تتسم بالموضوعيّة وإنما كتبت وفق أهواء استعماريّة فرنسيّة وإيديولوجيّة نظام سياسيّ كرس كل إمكانياته لتغييب ماض جزائريّ مشرف، واصفا الجزائر بالتّخلف وبحريتها بالقرصنة والاستعمار بمهمة التّحضر والتّمدن والمجاهدين بقطاع الطرق والخارجين عن القانون. لا لشيء إلا لزرع وفرض فكرة سمو العرق الأوروبي، والجزائر الفرنسيّة والتّنصل من الماضيّ الجزائريّ والخجل منه.

ومع هذا لا يمكن بوجه أو بآخر إنكار حتميّة الاعتماد على هذه الكتابات والمراجع لكتابة التّاريخ فيّ ظل غياب البديل.

مع ما يفرضه واجب الأمانة إلى النّص الأصليّ على المترجم كمترجم، والالتّزام بالموضوعيّة كونه باحثا وما تلقاه من تكوين نتج عنه تراكم معلوماتيّ نظري. يجد المترجم نفسه أمام خيارين أحلاهما مر فإما الأمانة المهنيّة وترجمة تاريخ ووقائع محرفة بتوظيف المهارات والمكتسبات التّرجميّة وإما الأمانة لتاريخ مغيب ومحاولة إحياء هويّة تاريخيّة مفقودة.

وهنا بيت القصيد، فالمترجم والمتعامل مع تلك المراجع بوصفه شريكا اجتماعيا فيّ إعادة صياغة التّاريخ المكتوب وفق مزاجيّة معينة تحت مسمى الإيديولوجيّة الفكريّة، وشرطيّة تاريخيّة موجدة للنص التّاريخيّ أوجدها المستعمر وأملاها على كتبة تلك المراجع التّاريخيّة بغرض إزالة مظاهر الاعتزاز بالذّات المختلفة عنه ومقوماتها، يمكن أن يكون شريكا اجتماعيا لقوة المستعمر ويوصف بذلك بالخيانة التّاريخيّة والهوياتية. أو أن يحدث ثورة فيّ المعنى والأسلوب باحتفاظه بالأحداث وتأريخها وإعادة بناء المعنى وفق نظرة أصحاب الأرض ويوصف بذلك بالخيانة العلميّة والعملية. والمترجم المحترف هو الذّي يستطيع التّوفيق بين الأمانتين باستخدام نوعيّ لنظريات التّرجمة لموافقة وخدمة وعيّ قوميّ مستلهم من واقع وقع غيبته أقلام أزلام، ومتجسد فيّ المعنى المحمول والمنبعث من الكلمات المنتقاة للتعبير عن الذّات التّاريخية.

قبل الخوض فيّ دراسة أهم النّظريات التّرجميّة القابلة للاستعمال من أجل استيفاء الغرض التّاريخيّ فيّ إعادة كتابة التّاريخ أو ما يعرف بالتّأريخ للماضيّ وفق نظرة الحاضر. وجب التّعريج على ماهيّة التّاريخ وأهم خصائصه المكونة له كالإيديولوجيّة والمكون لها كالهوية. وهذا لتسليط الضوء على طريقة كتابته لضبط ترجمته وإعادة كتابته.

2. التّاريخ: يقول الدّكتور قاسم عبده أن كلمة التّاريخ دالة على مسيرة الإنسان الحضاريّة على سطح كوكب الأرض منذ الأزل (الأقصم.2001). إذن فالتّاريخ علم موجد أوجدته الحاجة الإنسانيّة لدراسة وجوده والموجودات التّي سبقته إلى الوجود والتّي يشكل امتدادا لها ولوجودها. والواقع أن التّاريخ مصطلح شق طريقه من الدّلالة اللغويّة البسيطة على اليوم والسنة والوقت والزمن إلى علم قائم بحد ذاته، له نظرياته وأسسه الخاصة التّي تضمن له البقاء. وفرض نفسه كمنهج علميّ بحثيّ مستقل ضمن دائرة العلوم الإنسانيّة، مرورا بمجموع الأحداث الواقعة فيّ الماضيّ وتفسيراتها وطريقة كتابتها وصياغتها فيّ قالب لغويّ إلى التّموقع فيّ قلب مجموعة العوامل الضامنة والمؤسسة لوحدة الأمم والمجتمعات. فالتّاريخ هو الإرث الجماعيّ الذّي أوجده وتركه من سبق وجودهم الموجودات الحاضرة. وأملى الانتماء إليه على المنتمين إليه واجب الحفاظ من أجل الاستمرار كما منحهم حق الانتماء إليه والاعتزاز بذلك الانتماء. ولذلك فقد أولى ابن خلدون أهميّة بالغة للتاريخ ودراسته، حيث أورد فيّ مقدمته " فإن فن التّاريخ من الفنون التّي تتداوله الأمم والأجيال" (الحلواني. 1999).

فالتّاريخ بمثابة متحف للذاكرة الجماعيّة سواء أكانت دولا أم مجتمعات صغيرة أم الإنسانيّة جمعاء. وهو دليل انتماء الفرع إلى الأصل والامتداد له والاعتزاز به بالدّفاع عن وجوده وتفرده. وهو العلم المهتم بتلك الانتماءات والمعزز والدّارس لها وفق مناهج علميّة تدرس الحقائق فيّ تسلسلها الزمكاني. وفيّ هذا السياق يقول هيربرت ادامز أن التّاريخ " تطور من حاضنة للعقائد إلى مختبر للحقائق العلمية" (الحلواني.1999)

لا يكمن الغرض من دراسة التّاريخ فيّ إيجاد الأعداء والعداوات، أو نبش الماضيّ لغرض إحياء النّعرات والحروب وإثارة الفتن وبث الكراهيّة بين الشّعوب المختلفة المكونة فيّ اختلافها للإنسانيّة، ولا بين الطوائف المشكلة باتحادها للدول والمجتمعات. وإنما تكمن قيمة دراسات التّاريخ فيّ فلسفة التّاريخ من أجل فهم الماضيّ لوضع أولى لبنات بناء المستقبل فيّ الحاضر عبر إيجاد مقومات هوياتيّة ضامنة للوحدة والتّميز من أجل التّقدم. وكذا الاتعاظ وأخذ العبرة مما قد سبق حدوثه لتجنب الوقوع فيّ الأخطاء السابقة تحت شعار "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".

1.2 كتابة التّاريخ : كتابة التّاريخ أيّ صياغته اللغويّة أو ما يعرف بالتّأريخ من أهم وأعقد المنتجات الفكريّة، حيث عرفه الدّكتور قاسم عبده أن عبارة كتابة التّاريخ تعبر عن العمليّة الفكريّة الإنشائيّة التّي تحاول إعادة تسجيل وبناء وتفسير الإنسان على كوكبه (الأقصم. 2001). وأكد ذلك فورايّ **(Furay)** وساليفوريس **(Salivouris)** على انه *"الطريقة التّي يتم بها كتابة التّاريخ"* (فورايّ وساليفوريس.2013). وكلمة الطريقة **(méthode)** إن دلت على شيء فإنما تدل على الاختلاف فيّ وجهات النّظر للأحداث والوقائع الحاصلة خلال حقبة زمنيّة معينة باختلاف زاويّة النّظر والدّراسة وغايّة الكتابة. فالمنتصر فيّ الحرب يرى نصره فتحا ويرى نفسه فاتحا لكن نفس الحدث يمثل

سقوطا واستعمارا وغزوا للوطن. وكذا عبارة العمليّة الفكريّة التّي أوردها الدّكتور قاسم فيّ تعريفه دلالة على وجود الذّاتيّة فيّ كتابة التّاريخ والتّوثيق له. ولعل أهم ما يمكننا الاستشهاد به هو بدايّة التّأريخ للتاريخ الحديث وهو سقوط القسطنطينيّة (إسطنبول حاليا)، حيث ورغم أنها أرض تركيّة إلى يومنا هذا إلا أن صانعيّ التّاريخ مازالوا يعتبرونها سقوطا فيّ حين يراها الأتراك والمسلمون فتحا.

ومن هنا يمكننا القول أن كتابة التّاريخ تخضع لأهواء الكاتب ورؤيته للأمور وتحليلها فيّ سياقها الزمكانيّ والسياسة العامة السائدة.

يقول بيليسييه **(Pellissier)** وهو عقيد فيّ الجيش الفرنسيّ فيّ بدايّة كتابه المؤرخ لمعاركه، بأنه كتب الحقيقة كما يراها هو حيث جاء فيّ كتابه مايلي:

« J'ai donc repris la rédaction de mes annales … décidé, en un moment, à dire la vérité comme je la sens et la vois » (بيليسييه.1836)

الاعتراف الصريح بكتابة وقائع الحملة العسكريّة الفرنسيّة على الجزائر وفق منظور شخصيّ، دليل واضح وصريح على قصور الرؤيّة واختلال المعنى واختلافه عن الواقع فيّ سرده للمواقع. فهو أبعد ما يكون عن الموضوعيّة العلميّة والحياد العلميّ كونه طرفا فيّ النّزاع الفكريّ العقائديّ المختلف فيه والمعبر عنه فيّ توثيقات مرجعيّة لهذا الأخير. اعتماد صاحب الكتاب وتوظيفه لكلمة " الحقيقة " معقبا عليها ب «كما أراها وأحسها" يؤكد ما جاء به (يان فيسترهوف) فيّ كتاب الحقيقة، حيث خلص إلى أن الحقيقة نسبيّة وتختلف من شخص لآخر. وأن عقل هذا الأخير يرسم لصاحبه الكون والأحداث ويصف له الحقيقة كما يحب أن يراها هو بوصفه مركز الكون المرسوم وصاحب الحق فيّ تغييره. (فيسترهوف.2016)

ويرى المؤرخون أن التّاريخ ثلاثة أنواع. أولها التّاريخ الواقع وهو مجموعة الأحداث الواقعة فيّ سياق زمكانيّ معين. لكن هذه الأحداث يراها كل طرف بنظرته الخاصة وينقلها وفق ما يخدمه ويخدم قضيته التّي يؤمن بها وهذا ما يسمى بالتّاريخ الرسميّ أيّ المصرح به من طرف الجهات الرسمية. أما النّوع الثالث فهو التّاريخ الهوياتيّ وهو مجموعة الأحداث المنتقاة بعنايّة لتغذيّة إيديولوجيّة النّظام بتعزيز روابط الإتحاد بين أفراد المجتمع المتشارك فيّ التّاريخ وترسيخ مبدأ الانتماء المشترك إلى نفس التّاريخ والأصل.[1]

2.2 **التّاريخ والهويّة**: أجمعت قواميس اللغة العربيّة كالمحيط والرائد والوسيط أن الهويّة مشتقة من الضمير المنفصل "هو". وأن الهويّة هيّ مجموع الصفات والمبادئ والقناعات التّي يتبناها الفرد إراديا فتصبح جزءا من شخصيته محددة لمعالمها، وتصير فخره ودليل تفرده وتميزه عن غيره. وقد جاء فيّ

معجم اللغة العربيّة المعاصرة أن الهويّة هيّ إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكياته وأفكاره فيّ مختلف المواقف. ولكن يمكن لمفهوم الهويّة أن يتجاوز حاجز الفرد ويتعداه إلى الجماعة حيث جاء فيّ كتاب "الهويّة المتعددة الأبعاد" أن الهويّة تمثل كل شيء مشترك بين أفراد مجموعة محددة أو شريحة اجتماعيّة تسهم فيّ بناء محيط عام لدولة ما ويتم التّعامل مع الأفراد وفقا لمعالم تلك الهوية. ويتربع التّاريخ المشترك على عرش العوامل المشتركة الضامنة لوحدة المجتمع ذلك أن التّاريخ المشترك لا يدل فقط على الماضيّ المشترك ولكن يتعداه إلى المصير المشترك. حيث يقول الدّكتور أحمد عصيد [2] "ثمة ترابط عميق بين مفاهيم الهويّة والتّاريخ والسياسة" وأردف قائلا فيّ نفس السياق "فعلاقة الهويّة بالتّاريخ تبرز أن الهويّة صيرورة يعاد بناؤها فيّ زمن عبر النّشاط الإنسانيّ ..." وقد أشار أيضا إلى قضيّة إعادة كتابة التّاريخ بعد استقلال الدّول وانعتاقها من ذل الاستعمار وخروجها من عباءة الانتماء المفروض إلى الانتماء الأصل، وبناء الهويّة الخاصة المتفردة والمستقلة بذاتها واصفا الاستقلال بالمنعطف التّاريخيّ الحاسم حيث قال "لا تثور إشكاليّة الهويّة إلا فيّ المنعطفات التّاريخيّة الحاسمة ولحظات التّحول الكبرى ...» أيّ انه يتم إعادة رسم معالم الهويّة الجديدة بإحياء تلك التّي تم إقصاؤها لسبب أو لآخر وإضفاء صفة القوة والمناعة ضد ما تعرضت له وكان سببا فيّ تغييبها.

3.2 مصادر التّأريخ: من أهم مصادر التّأريخ المكتوبة فيّ الجزائر نجد كتب التّاريخ القديمة نفسها والمكتوبة باللغة الفرنسيّة والمفكرات التّي تمثل شهادات موثقة لحقبة ما فيّ حيز زمنيّ وجغرافيّ محدد وفق رؤيّة شخصيّة لصاحبها كروايّة سفاح قالمة **(le Bouchet de Guelma)** التّي تؤرخ لمجازر 8مايّ 1945 بقالمة. والمنشورات والصحف اليوميّة **(le Parisien)**. لكن الجزائر مرت على غرار دول كثيرة بفترة استعماريّة لمدة تربو عن 132 سنة تعرضت فيها للنهب والسلب الذّي لم تسلم منه الذّاكرة الجماعيّة للشعب الجزائري. كما لا يمكن بأيّ حال نسيان أن هذه الوثائق والمخطوطات كتبت وفق إيديولوجيّة تمجد التّواجد الفرنسيّ بالجزائر وتقزم من الدّور الحضاريّ والثقافيّ الأصل فيّ الجزائر. لذا كان لزاما التّعامل مع هذه الوثائق تعاملا خاصا. فالمؤرخ لتلك الفترة كان يكتب لنظام سياسيّ بإيديولوجيّة معينة غايتها مواصلة السيطرة على السلطة وتملكها فيّ الصراع السياسيّ ضد الآخر. [3] بإلغاء انتمائه إلى كيانه الأصليّ لجعله يتبنى الكيان المضيف ويرغب بالانتماء إليه فتسهل بذلك السيطرة عليه والتّحكم فيه.

3. **إعادة كتابة التّاريخ:** بعد استقلال الجزائر العسكريّ والسياسيّ عمدت إلى إرساء قواعد استقلال ثقافيّ وهوياتيّ عن طريق إعادة كتابة التّاريخ وفق إيديولوجيّة ولغة مستقلتين عن الاستعمار لضمان التّفرد واسترجاع الذّاكرة الجماعيّة وكذا الخروج من مضلة الاستعمار والتّبعيّة إليه. يقول احمد عصيد أنه إذا كانت النّصوص التّاريخيّة لا تتغير فإن قراءاته من منطلق الحاجة تتغير وتختلف حسب السياق. ومنه فاستقلال الجزائر قد أوجد تغييرا فيّ السياق وفيّ مقومات الإيديولوجيّة مما

يستوجب تغييرا فيّ القراءات. فالانتماء إلى الوطن الموجب للحفاظ عليه تغير بتغير الانتماء إليه، فالجزائر صارت دولة مستقلة بكيان خاص ولغة وثقافة مسترجعتين تختلفان تمام الاختلاف عن تلكما المفروضتين بقوة التّرهيب الإداريّ والعسكريّ لمدة تربو عن 132 سنة. وكما أسلفنا الذّكر فإن معالم الهويّة الجديدة المراد إرساؤها وترسيخها هيّ إحياء للهويّة المغيبة بقوة الاستعمار ويضاف إليها الدّروس المستخلصة من الأسباب المباشرة والغير مباشرة المؤديّة إلى تغييبها وانكسارها. فخارطة العالم السياسيّة لما قبل 1962 كانت تعتبر الجزائر مقاطعة فرنسيّة وكان مقاتلوها يعتبرون قطاع طرق وخارجون عن القانون حسب الرأيّ العام الفرنسي. لكن بعد 1962 صارت الجزائر جزائريّة والمقاتلون الذّين كانت تعتبرهم فرنسا والصحافة العالميّة خارجين عن القانون وإرهابيين وقطاع طرق صاروا مجاهدين بل وقد أدرجت كلمة المجاهدين فيّ اللغة الفرنسيّة تحت تفسير خاص فيّ قاموس لاروس " الرجال الذّين خدموا الثورة الجزائريّة من 1954إلى 1962" لذا كان لزاما على الجزائر إعادة كتابة التّاريخ وفق أيديولوجيتها الخاصة.

4. الإيديولوجية: حسب ما ورد فيّ قاموس «**Larousse**» فإن المصطلح مشتق من الكلمة اليونانيّة "إيديا" بمعنى فكرة ومن هنا اقترح جموع المترجمين والمصطلحيين ترجمتها إلى "الفكروية" أو "الفكرانية". وككل المصطلحات عرفت الإيديولوجيّة عدة تعريفات من بينها أنها نسق متكامل للأفكار والمعتقدات والاتجاهات العامة الكامنة فيّ أنماط سلوكيّة معينة تملك المقدرة على تبرير سلوك شخصيّ وإضفاء صفة الشّرعيّة على النّظام القائم.[4] ومن التّعريفات المثيرة التّي قدمها ديفيد وجوليان جيريّ أن الأيديولوجيا نسق من الأفكار يبرر خضوع جماعة أو طبقة ما لجماعة أو طبقة أخرى مع إضفاء نوع من الشّرعيّة على هذا الخضوع.(جاري.1991) وهذا التّبرير إنما يكون لأصحاب القوة أنفسهم ومن يشاطرهم نفس النّسق الفكريّ الإيديولوجيّ مغيبين بذلك إيديولوجيّة الطبقة المغلوبة وخير ما يستدل به قوله تعالى فيّ سورة غافر على لسان فرعون "*لا أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد*" فإيديولوجيّة الألوهيّة الفرعونيّة مفروضة بالقوة لتغييب إيديولوجيّة دين التّوحيد الذّي جاء به موسى ويعتقد به قومه من مستضعفيّ بنيّ إسرائيل وهو الدّين النّافيّ لصفة الألوهيّة عن البشر.

5. مقارنة الإيديولوجيات: لا نقصد من وراء هذا العنوان مقارنة نظريّة وإنما إعطاء نظرة عن الاختلاف الصارخ فيّ نمط التّفكير، الشّيء الذّي من شأنه خلق مشاكل للمترجم فيّ تأديّة أمانته.

5. 1. الإيديولوجيّة الدّينية: نجد فيّ روايّة جيرونيمو (***Geronimo***)[5] سردا وتأريخا لفترة تواجد الأسبان فيّ الجزائر وبالضبط للفترة الممتدة من 1512 إلى 1560. حيث لم يرق للفرنسيين دفاع الجزائريين بالتّحالف مع الأتراك والموريسكيين (**les mores**) عن الجزائر ضد الاحتلال الإسباني، حيث وصفوهم بالكفار والوحوش البرابرة. وقد استهل الكاتب " بيربروجير" «**A.**

« **Berbrugger** كتابه, المترجم عن النّص الأصليّ الإسبانيّ لصاحبه "هايدو" « **Haido** » بتأكيد صفة الشّهادة (الاستشهاد) التّي لا يستطيع منحها آنذاك سوى الكنيسة، للمدعو جيرونيمو حيث أن هذا الأخير جزائريّ مسلم مولود بضواحيّ وهران اعتنق المسيحيّة وعمل مع الأسبان، ورفض الرجوع إلى الإسلام بعد سجنه فأعدم رجما فيّ حفرة ردم فيها بتهمة الردة والخيانة.

فالمترجم الجزائريّ لهاته الروايّة سيجد نفسه لا محالة أمام تناقض صارخ بين الأمانة لنص الروايّة القاضيّ بهمجيّة الجزائريين وكفرهم من جهة وإيديولوجيّة القارئ الجزائريّ من جهة أخرى.

كما نلمس أيضا استهزاءً واضحا بمقدسات المسلمين فقد أورد تروملييّ فيّ كتابه أن شعائر الإسلام شاقة ومتعبة.

« **Les sentiers de l'islam sont difficiles et tortueux** ».(تروملييي.1892)

فمثل هذه العبارة لا يمكن بأيّ حال ترجمتها لما تحمله من تجريح واستهزاء بمقدسات الجمهور الهدف أو القارئ المستقبل.

كما أردف بيليسييّ فيّ كتابه ***les annales Algériennes*** «بأن مهمته الاستعماريّة كانت لحاجة دينيّة مقدسة.

« **C'est pour moi un besoin presque religieux de m'occupé d'un pays** »(بيليسييه. 1836)

5. 2. الإيديولوجيّة السياسية: تناول المؤرخون لتلك الفترة الحروب ضد الجزائر بإسهاب واصفين إياها بمحاولات الفتح ومحاولة تطهير البحر من القراصنة الذّين لم يكونوا سوى البحريّة الجزائريّة المدافعة عن إقليمها البحريّ وسيادتها عليه. فقد جاء فيّ كتاب: « **Alger et les cotes d'Afrique** »

ما يلي: « **Alger…prison de tant de martyres** »

الجزائر ... مقبرة الشّهداء.

« **L'Europe, affranchie d'un odieux tribut, bénie encore cette puissance dont il a plu à la providence de vous dépouilles ; la mer purgées des pirates … l'humanité a triomphé la barbarie, la croix est victorieuse.** » (ديّ ريسباك.1837)

العبارات المبينة أعلاه "تطهير البحر من القراصنة" " الإنسانيّة تدحض الهمجية" " النّصر للصليب" إن دلت على شيء إنما تدل على النّظرة الأحاديّة الزاويّة المنغلقة على نفسها الممجدة للذات بوصفها بالإنسانيّة والمطهر من جهة، والرافضة للأخر ووصفه بالقرصنة والهمجيّة والكفر من جهة أخرى.

دون أن ننسى سياسة التّضليل المنتهجة بتقزيم عدد ضحايا العمليات العسكريّة للمحافظة على ماء الوجه أمام الرأيّ العام العالمي. حيث ورد فيّ كتاب **«le Bouchet de Guelma»**[6] أن عدد الضحايا الجزائريين لم يتجاوز 4000 قتيل خلال 3 أشهر من القتل واصفا إياها بالحوادث **« les événements »** بينما تشير الإحصائيات الجزائريّة إلى ما يربو عن 45000 قتيل. فكيف للمترجم أن يترجم للقارئ الجزائريّ الذّي يعتبر موت 4 أشخاص فيّ حادث مرور مجزرة مقتل 4000 شخص حسب الروايّة الفرنسيّة بالحوادث؟

كما صرح الجنرال شارل ديغول أن عدد القتلى إبان ما سماه بحرب الجزائر لم يتجاوز 200000 قتيل(ستورا.1992). رافضا بذلك مصطلح الثورة التّي سعت إلى تغيير جذريّ لقلب الموازين والمعادلة القاضيّة بأن الجزائر أرض فرنسية، ومغطيا عن حصيلة تجاوزت المليون ونصف شهيد. ومع ذلك فإن استعمال لفظة حرب إقرار ضمنيّ بوجود كيان آخر ودولة أخرى غير الدّولة الفرنسيّة المستعمرة فيّ الجهة المقابلة للمواجهة. لأن لفظة حرب معناه إشتباك مسلح فيّ عدة مواقع بين دولتين محددتيّ المعالم.

5. 3. الإيديولوجيّة العرقيّة: يسعى هذا النّوع من الإيديولوجيّة إلى تكريس نظريّة التّطور الدّاروينيّة القاضيّة بسمو العرق الأوروبيّ على غيره من الأعراق التّي وجدت حسبه لخدمة الآخر فقط. ورغم أن هذه النّظريّة عرفت النّور فيّ أواسط القرن 19 للميلاد إلا أن الفكرة قديمة التّكون والوجود فيّ المجتمعات الأوروبية، ولم يكن من داروين إلا أن صاغها فيّ قالب لغويّ مضفيا عليها صفة النّظريّة العلميّة لإعطائها الشّرعيّة العلميّة والعالميّة معا. ومن مظاهرها فيّ الجزائر وصف أصحاب الأرض بالأهاليّ **« les indigènes »** والآخرين **« les autres »** وجحافل البربريّة **« les hordes barbares »** كما ورد فيّ كتاب **« *l'Algérie* »**.

« Les hordes barbares du voisinage mentionnées… au contact de notre civilisation. Aujourd'hui les hordes barbares acceptent notre domination. » (كاريت.1850)

فالكاتب يسعى لتكريس مبدأ الغزو لنشر الحضارة المزعومة فيّ أوساط أقل ما يقال عنها أنها بربريّة وأقل ما توصف به هو الهمجية. وهذا ما لمسناه فيّ كتاب دان **« DAN »** حيث قال :

« … **qu'on appelle barbarie ; tellement qu'on peut dire d'eux, qu'ils sont les plus barbares de tous les hommes** » (دان. 1646)

ووصفت الأرض بالملعونة والمنحوسة لاحتوائها على كل أنواع الانحلال الأخلاقي.

« **Cette région comme maudite à toujours été le théâtre funeste ou le libertinage, l'hérésie et l'impiété** … » (دان. 1646)

« **Divers peuples qui l'ont de temps en temps habitées tous infidèles et inhumains** » (دان.1646)

"كل من كان هنا كانوا وحوشا كفرة " النّصوص المقدمة ما هيّ إلا غيض من فيض من النّصوص المجرحة القائمة والمكرسة لمبدأ التّفوق العرقي.

6. نظريات التّرجمة: نظرا لحساسيّة هذا النّوع من التّرجمة والهدف الأسمى منها لكل الحضارات والأمم، فإن التّرجمة يجب أن تكون موافقة ومتماشيّة مع ثوابت الأمة التّي يرسمها ويتبناها النّظام السياسيّ فيّ إطار التّماشيّ مع مقومات الهويّة المسترجعة. ولذا فإن ترجمة هذا النّوع من المراجع الحساسة تخضع لطلب صاحب التّرجمة وإيديولوجيّة القارئ المتلقي. انطلاقا من هذا المفهوم سنسلط الضوء على ثلاث نظريات مهمة فيّ ترجمة المراجع التّاريخيّة وإن كانت النّظريّة الأولى (الحرفية) لا تكتسيّ نفس الأهميّة وذات استعمال محدود فيّ ترجمة المراجع والمؤلفات ذات الصبغة الإيديولوجيّة والتّي لا يستطيع مترجمها الالتّزام بالحياد السلبي.

6. 1. التّرجمة الحرفية: (la théorie linguistique): كان ظهور نظريّة التّرجمة الحرفيّة على يديّ كل من جون بول فينايّ **(j. p. Vinay)** وداربنليّ **(Darbenlet)** فيّ كتابهما الموسوم بالأسلوبيّة المقارنة **(la stylistique comparée)** بمثابة الثورة التّرجميّة وبدايّة التّأريخ لميلاد علم جديد تحت مسمى التّرجمة. ولا زال كتابهما يعتبر مرجعا هاما، وواجب الإحاطة به وبخباياه حتميّة على كل مترجم وطالب ترجمة. حيث تناولا فيه مقارنة أسلوبيّة بين اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة معتمدين تصانيف لغويّة تهدف فيّ الأساس إلى إيجاد المكافئ اللغويّ فيّ اللغة الهدف والطريقة المثلى للتعبير عنه. فاحتوى المرجع على سلسلة تقنيات صنفت إلى تقنيات مباشرة متمثلة فيّ الاقتراض أو نقل الكلمة كما هيّ من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف مع إحداث تغييرات لملاءمتها مع الخصائص اللغويّة للغة الهدف، المحاكاة أو النّسخ والتّرجمة الحرفيّة وهيّ التّرجمة كلمة بكلمة. وتقنيات غير مباشرة كالتّضمين والتّحوير واستعمال المكافئ اللغويّ والثقافي.

غير أن الاعتماد الكليّ لهاته النّظريّة فيّ ترجمة المراجع التّاريخيّة المكتوبة وفق إيديولوجيّة معينة يعتبر إنتحارا للهويّة وهدما لمقوماتها. على عكس المراجع ذات الطابع الوصفيّ للتضاريس وجغرافيّة الأرض والنّشاط الإنسانيّ كالزراعة والصناعة ونظام التّعليم.

6. 2. النّظريّة الغائيّة: (la théorie de skopos): تعتمد هذه النّظريّة على الهدف من التّرجمة والذّي يحدده الزبون سلفا وهيّ نظريّة تمكن المترجم بأخذ النّص الأصليّ بعين الاعتبار ورغبة الزبون فيّ آن واحد.

هانس فيرمير **(H . VERMEER)** الذّي أكمل تكوينه فيّ ميدان التّرجمة الفوريّة على يد كاتارينا رايس **(C. REIS)** كما جاء فيّ كتاب كريستيان نور (**Nord. C),** يعتبر التّرجمة نشاطا إنسانيا لغايّة معينة فيّ سياق معين . الشّيء الذّي من شأنه خدمة التّرجمة التّأريخيّة لإعادة كتابة التّاريخ كون هاته العمليّة تخضع لهدف أسمى وهو رسم معالم الهويّة والذّاكرة الجماعية. وما يميز هاته النّظريّة هو إمكانيّة اعتمادها فيّ ترجمة الوثائق أو ما يعرف بالتّرجمة الوثائقيّة معطيّة للمترجم صلاحيّة استخدام الإستراتيجيّة التّي يراها مناسبة لبلوغ الهدف المنشود (الهدف يحدده صاحب الطلب) (عناني. 2003). ومما يسهل على المترجم تأديّة واجبه هو تميز هاته النّصوص بالطابع الإخباريّ والذّي يسمح للمترجم باستخدام أسلوبه الخاص أيضا فيّ سردها.فإذا أخذنا العبارة السابقة مثلا:

« … qu'on appelle barbarie ; tellement qu'on peut dire d'eux, qu'ils sont les plus barbares de tous les hommes »(دان. 1646)

وترجمة النّصوص يجب ألا تتم دون الإعتماد على تحليل الخطاب ودراسة سياقه التّداولي. فالتّرجمة الحرفيّة للعبارة الأخيرة تفيد أن الجزائريين كانوا أكثر النّاس وحشيّة وبربرية.

"الأهاليّ متوحشون" ← ضد الفرنسين.

لكن الأهاليّ هم أصحاب الإرض ← إذن الفرنسيون غزاة غرباء.

الفرنسيون يأخذون الأراضيّ من أصحابها ← الأهاليّ يردون بوحشية.

ومنه يمكن ترجمتها بعد التّحليل والقراءة المعمقة إلى ما يلي: "لم يرق للفرنسيين شراسة واستماتة الجزائريين (الأهاليّ) التّي لم يشهدوا لها مثيلا عند غيرهم فيّ الدّفاع عن أرضهم"

والعبارة:

« Cette région comme maudite à toujours été le théâtre funeste ou le libertinage, l'hérésie et l'impiété … »

أرض ملعونة لأنها أرض الكفار المتعصبين لكفرهم.

الكفر هو التّكذيب بما جاء به المبشر.

المبشر الفرنسيّ يدعو إلى المسيحية.

إذن أهاليّ المنطقة رفضوا محاولات التّنصير.

الأهاليّ أصروا على دينهم (الكفر فيّ نظر المسيحيين).

دين الأهاليّ هو الإسلام.

" رفض سكان المنطقة كل محاولات الفرنسيين لاستمالتّهم وتنصيرهم وبقوا محافظين على دينهم وتقاليدهم "

6. 3. مقاربة التّرجمة الإيديولوجية: (l'approche idéologique)

نظرا لأن كتابة التّاريخ لا تكون إلا وفق إيديولوجيّة متبناة من النّظام السياسي، مستمدة شرعيتها من التّوافق والإجماع المجتمعيّ، فإن اللجوء إلى هاته المقاربة كاستخدام العصا السحرية. حسب ميشونيك **(Meschonik)** فإن المترجم يعمل على نقل الإيديولوجيّة المسيطرة فيّ ترجمته.

« Le traducteur transpose l'idéologie dite dominante dans une pratique de l'annexion » (راكوفا.2014)

فإذا أخذنا العبارة التّاليّة على سبيل المثال:

« Les sentiers de l'islam sont difficiles et tortueux »

فإنها تدل على الجهل المسبق بالإسلام وتعاليمه، مما جعل الكاتب يصفها بالشّاقة والصعبة مقارنة بشعائر المسيحية. كإقامة الصلاة خمس مرات فيّ اليوم والامتناع عن الأكل والشّرب طيلة شهر رمضان عكس المسيحيّة القاضيّة بصلاة واحدة أسبوعيا وحريّة المأكل والمشرب طيلة أيام السنة.

يمكن ترجمتها " كان الفرنسيون يجهلون تعاليم الإسلام وشعائر المسلمين التّي تختلف جملة وتفصيلا عن شعائرهم"

والعبارة: **«C'est pour moi un besoin presque religieux de m'occupé d'un pays»**(دان. 1646)

نترجمها " وقد اعترف أن الحملات العسكريّة ليست إلا إحياء وامتدادا للحروب الصليبية"

العبارة: **« Alger … prison de martyres »**

التّرجمة الحرفيّة للعبارة تعطيّ " الجزائر ... سجن الشّهداء" . عبارة سجن الشّهداء تدل على فشل الحملات العسكريّة فيّ وقت سابق فيّ احتلال الجزائر. فكانت القوات الفرنسيّة تتعرض إما للقتل فيّ المعارك أو الموت فيّ السجون. وطبيعيّ أن تعتبر السلطات الفرنسيّة جنودها المفقودين شهداء. لكن وجهة نظر الجزائريين أنهم غزاة واجب محاربتهم لتحقيق الدّفاع عن الوطن والشّرف.

ومن هنا تترجم العبارة السابقة إلى " الجزائر ... مقبرة الغزاة"

6. 4. التّجاهل (نظريّة المعنى): يمكن اللجوء إلى تجاهل مقاطع من النّصوص التّي لا يخل حذفها بالسياق العام للمرجع، كتلك التّي يحيد فيها الكاتب عن هدف الكتاب خاصة فيّ الكتب التّي تتناول جغرافيّة الإرض والسكان ونشاطاتهم كالتّجارة والصناعة والزراعة. والمقصود بالتّجاهل ليس الإهمال للنص وإنما الاستغناء عن مكوناته اللغويّة والتّركيز على عزل المعنى المراد منه لإعادة صياغته وفق أسلوب المترجم الخاص مع ضرورة الحفاظ على طابع النّص السرديّ وإيجاد كم مصطلحيّ مقابل لذلك المستعمل فيّ النّص الأصليّ وفهم أكثر لسياق إنتاج النّص التّاريخي.

ومن أبرز دعاة مبدأ تقديم المعنى على المكون اللغويّ للنص نجد دانيكا سيليسكوفيتش **(D. SELESKOVITCH)** التّي قالتّ بضرورة الإحاطة بظروف إنتاج النّص وعدم الاكتفاء بمكوناته اللغويّة وعدم التّعامل مع النّص ككيان مستقل عن السياق الموجد له[7]. وقد أوجدت منهجيّة علميّة للترجمة عرفت بنظريّة المعنى، تتم فيها عمليّة التّرجمة على مراحل:

مرحلة الفهم: تتم بعد القراءة المتكررة للنص وإزالة الغموض عن كل مكوناته اللغويّة ذات الخاصيّة المصطلحيّة أو الغرابة الثقافيّة أو الخصوصيّة الأسلوبية.

مرحلة العزل: بمعنى عزل المعنى عن مكوناته اللغويّة والاستغناء الكليّ عنها.

مرحلة الصياغة: هيّ مرحلة إعادة صياغة المعنى المعزول عن مكوناته اللغويّة الأصليّة باستخدام الأسلوب الشّخصيّ للمترجم باختيار جملة ألفاظ وكلمات منتقاة من القاموس الشّخصيّ للمترجم نفسه.

ملاحظة: النّظريات المقترحة ليست هيّ الوحيدة المستعملة فيّ ترجمة الوثائق والمراجع التّاريخيّة ولكنها الأبرز.

7. خلاصة: ترجمة المراجع والكتب التّاريخيّة لا تقل فيّ أهميتها عن ترجمة العلوم والتّكنولوجيا. فإن كانت هاته الأخيرة تضمن للمجتمع اللحاق بقطار الحضارة والتّقدم العلميّ فإن الأولى تساهم فيّ بناء الهويّة الفرديّة والجماعيّة لتكون مصدر فخره واعتزازه وتضمن له تميزه وتفرده عن غيره، وكذا انتماءه إلى المجتمع الذّي يشاطره هذا التّاريخ والهويّة باعتبار تقاسمهما نفس الماضيّ والحاضر والرؤيّة المستقبلية. وأمام هاته المهمة الثقيلة الغير المستحيلة فإن المترجم له الحق فيّ اللجوء إلى التّقنيّة التّي

يراها مناسبة وانتقاء الألفاظ لإنتاج مراجع ونصوص تجمع بين الإحاطة المعلوماتيّة وإعادة بعث الهويّة المغيبة والتّحفيز على الاعتزاز بالهويّة الوطنيّة وتمجيد من كان لهم الفضل فيّ بلوغ الاستقلال.

ولا يمكن بأيّ حال أن ينقل ويترجم هاته النّصوص بهاته الكفاءة إلا مترجم يجمع بين الكفاءة النّظريّة والتّراكم المعلوماتيّ والحنكة فيّ التّعامل مع هاته النّصوص وفك رموزها والتّمرس والخبرة فيّ ترجمتها والأسلوب اللغويّ الفذ لإعادة صياغتها ولعل الشّرط الأهم هو الانتماء إلى نفس الهويّة والإيديولوجية.

8. قائمة المراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية:

1-إبراهيم بن يوسف الأقصم. *المختصر فيّ المسميات والمصطلحات التّاريخيّة والجغرافية*.جدة (السعودية). دار المجتمع للنشر. الطبعة الأولى. 2001. ص7-21.

2-سعد بدير الحلواني. *تأريخ التّاريخ*. الطبعة الثانية.مؤسسة الزهراني. مصر. 1999. ص 146-149.

3-يان فيسترهوف. الحقيقة. ترجمة هبة عبد العزيز غانم. القاهرة. مؤسسة هنداويّ للنشر والتّعليم.**2016** .ص 55.

4-د. عناني. نظريّة التّرجمة الحديثة. *مدخل إلى مبحث دراسات التّرجمة*. مصر. الشّركة المصريّة العالمية. 2003.ص9.

قائمة المراجع بالفرنسية:

1-M.SALIVOURIS & Conal FURAY.*The methods and skills of history* . A pratical guide. Minnesota. wiley blackwell.3rd edition.2013.P223.

2-E. Pellissier. *Les annales Algériennes*. Tome 1. Paris. Librairie pour l'art militaire.1836. P5.

3-C. Trumelet. *L'Algérie légendaire*. Alger. Librairie Adolph Jordan.1892. P5.

4-A, De Fontaine de Resbecq. *Alger et les cotes d'Afrique*.Paris. Gaume frères librairies.1837. P(2,3).

5-B. Stora. *Guerre d'Algérie*. Paris. Benjamin Stora. 1992. P121.

6-MM, Rozet & Carette. *L'Algérie*. Paris. Firmin didot freres.1850. P21 .

7-DAN. *Histoire de barbarie et de ses corsaires, livre premier*. Paris. Pierre Rocolet imprimeur.1646. P2.

8-Z. RAKOVA. *Les théories de la traduction*. Masarikova universita.2014. P(86, 18).

المراجع الإلكترونية:

1-موقع الدّكتور أحمد عصيد. (18. 12. 2019)

2-**https://m.nadorcity.com/ (17 /05/2019).**

3-**http://blogs.aljazeera.net/amp/blogs/2016/8/20/ (21/11/2018).**

4-موسوعة مقاتل من الصحراء. مفهوم الأيديولوجيا.

9. هوامش:

(1) أنظر موقع الدكتور أحمد عصيد. (18. 12. 2019)

(2) **https://m.nadorcity.com/ (17 /05/2019).**

(3)**http://blogs.aljazeera.net/amp/blogs/2016/8/20/ (21/11/2018).**

(4) أنظر. موسوعة مقاتل من الصحراء. مفهوم الأيديولوجيا.

(5) **A. BERBRUGGER . *Geronimo*.Paris. challamel ainé librairie. 2ème édition.1859.**

(6) **F. Zamponi. *Le Bouchet de Guelma*. Paris.Gallimard.2007.**

(7)**« *Certains traductologues, et particulièrement Danica Seleskovitch et ses disciples à l'ESIT (…), ont rejeté la linguistique parce qu'elle s'occupait de la langue en dehors de tout contexte de communication.* »**

Z. RAKOVA. *Les théories de la traduction*. P 18